اسم المادة: اسم الله الحسيب

من سلسلة: الحسنى

لفضيلة الشيخ: حسن بن عبد الحميد بخاري

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: اسم الله الحسيب
من سلسلة: الحسنى
لفضيلة الشيخ: حسن بن عبد الحميد بخاري
رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-168340.htm

حياكم الله والسلام عليكم ورحمة الله

في قصة الخليل إبراهيم –عليه السلام–، حين عزم قومه على إحراقه بالنار لما أقام عليهم الحجة وفقدوا المحجة، وهو القائل لهم بعدما سألوه من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم؟ أأنت فعلت هذا؟ قال: بل فعله كبيرهم هذا، فلما كشفوا زيف باطلهم وانكشفوا في حقيقة أمرهم، "قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ" الأنبياء:٦٨ فلما أُلْقِيَ –عليه السلام– في النار قال: حسبنا الله ونعم الوكيل قال الله: "يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ" الأنبياء:٦٩

حسبنا الله ونعم الوكيل، كلمة قالها الخليلان إبراهيم –عليه السلام– ومحمد –صلى الله عليه وآله وسلم– قال بن عباس –رضي الله عنهما–: حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم –عليه السلام– حين أُلْقِيَ في النار، وقالها –محمد صلى الله عليه وسلم– وأصحابه لما "قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ" آل عمران:١٧، كفاهم الحسيب وكفى بالله حسيبا.

"وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً" النساء:٨٦

في كتاب الله الكريم قول الله –سبحانه وتعالى–: "فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيباً" النساء:٦، وفي قوله أيضًا –سبحانه وتعالى–: "وَإِذَا حُيِّيْتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيباً" النساء:٨٦، كما جاء الحاسب في قوله –تعالى–: "وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ" الأنبياء:٤٧، فربنا –سبحانه وتعالى– حسيب وحاسب، أما الحسيب فهو على صيغة المبالغة فعيل، ويأتي له في اللغة معنيان: أحدهما الكفاية والاقتدار؛ تقول حسبي من الشيء كذا أي يكفيني، ومعنى الكفاية هنا أن الله –عز وجل– يكفي من توكل عليه وهو –جل جلاله– حسبه أي كافيه من كل ما أهمه أو سأله أو طلبه ورغب فيما سأله من عند الله، ويأتي الحسيب بمعنى المكافأة والمحاسبة والله –عز وجل– يحفظ أعمال العباد ويحصيها عليهم ليجازيهم بها إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

يقول الزَّجَّاج –رحمه الله تعالى– الحسيب في أسماء الله –تعالى– يأتي بمعنى الكفاية، تقول العرب نزلت بفلان فأكرمني وأحسبني يعني أعطاني حتى قلت حسبي، فتحقق فيه معنى الكفاية، قال: ويجوز أن يكون من أحسبني الشيء أي كفاني بمعنى أنه على صيغة حسيب لكنه بمعنى مُفعل، فعيل بمعنى مُفعل، كما تقول أليم بمعنى مُؤلم.

وقال غيره هي من الصيغ التي تأتي على وزن فعيل ويراد بها المفاعلة أي المحاسبة، حسيب بمعنى محاسب وكما تقول العرب وزير ونديم وجليس يعني مؤازر ومنادم ومجالس، فمنه حسيب بمعنى محاسب.

أيها الكرام ربنا –عز وجل– الحسيب على عباده، وهو –جل جلاله– كافٍ من توكل عليه وجعل الله –سبحانه وتعالى– حسبه أي كافيه من كل ما أهمه، فيأتي هذا الاسم العظيم في عداد وسياق الأسماء الحسنى التي تبعث ثقةً بالله وتعظيمًا له في القلوب –جل في علاه–.

اسم الله الحسيب –سبحانه وتعالى– يحمل معنى الحساب والمحاسبة، فالله –سبحانه– أحصى خلقه؛ أعدادهم، أصنافهم، أماكنهم لأنه خلقهم –جل جلاله–، وأحصى أقواتهم وأرزاقهم لأنه يدبرها –سبحانه–، وأحصى أعمال المكلفين في دواوينهم وصحائف أعمالهم وسيجازيهم عليها لأنه الحسيب –سبحانه–. ويوم القيامة سيُجَازَى أهل الأعمال بأعمالهم ويدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، لا يشغله –سبحانه– حساب أحد عن حساب أحد، فالله –سبحانه وتعالى– الحسيب.

اسم ربنا الحسيب إخوة الإسلام يبعث في النفس معنىً فيه الكفاية أو ما قال الله لنبيه –عليه الصلاة والسلام–: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" الأنفال:٦٤، وأنتْ وأنتِ أيضًا فليكن حسبنا الله –سبحانه وتعالى– فالله كافينا.

وجملة حسبنا الله ونعم الوكيل ثقيلة ليست في الميزان فقط ولا على اللسان، لكنها في القلب ثقةً وطمأنينةً في الشدائد والصعاب والمدلهمات.

أرجو ألا تكون كلمة حسبنا الله ونعم الوكيل كلمة تقال تعبيرًا عن الضعف وخلو اليدين من الحيلة وأسباب التدبير، كأن قائلها يقول لا حيلة لي ولا قوة، مستسلمًا لما هو فيه من موقفٍ أو كربةٍ أو مصيبة، إنما يقولها الواثق بالفرج يأتيه من الله المنتظر بيقين نصرًا وعزًا وبابًا يفتحه له الله قائلا حسبنا الله ونعم الوكيل.

أما إنه من الأخطاء الشائعة أن تقال حسبنا الله ونعم الوكيل ويفهم معناها بمعنى الدعوة على من تقال عليه، فيقال حسبنا الله على فلان أو عليك أو عليها، أما إنها الكفاية، وإذا قيلت فإنما يستنزل بها نصر من الله، ليست دعوة على أحد، لكنها اتكال على الرب الحسيب الكافي –جل جلاله–.

أحبتي الكرام الحسيب الحفيظ الرقيب –سبحانه وتعالى–، هذه الأسماء الحسنى تبعث في النفس إيقاظًا مستمرًا ليوم آخر ينتظرنا، حين يكون الحساب عند الحسيب، ويكون ما نعمله في دنيانا هذه وما نقوله وما ننشئه نحن مسئولون عنه تمام المسئولية، فيلكن نصب أعيننا قول المصطفى –صلى الله عليه وسلم–: "لنْ تَزُولَ قَدَما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسْأَلَ عن أَرْبَعِ خِصالٍ عن عُمُرِهِ فيمَ أَفْناهُ؟ وعَنْ شَبابِهِ فيمَ أَبْلاهُ؟ وعَنْ مالِهِ من أين اكْتَسَبَهُ وفيمَ أَنْفَقَهُ؟ وعَنْ علمِهِ ماذا عمِلَ فيهِ"[1]، فأعدوا للسؤال جوابًا فإن لنا ربًا حسيبًا –سبحانه وتعالى–.

[1] صححه الألباني